

# البرهـــان بين المناطقة والمتكلمين - دراسة عقدية

# The proof between the logicians and the theologians - a doctrinal study


إعداد

أ.د/ عبدالله بن دجين السهلي

**Prof. Abdullah Dajeen Al-Sahli**

أريج بنت سليمان الباهلي

**Areej Suleiman Al-Bahili**

قسم الدراسات الإسلامية كلية التربية جامعة الملك سعود



**Doi: 10.33850/jasis.2022.212503**

**الاستلام:** ١٥/ ١٠/ ٢٠٢١ **القبول :** ٢٨ / ١٠ / ٢٠٢١

السهلي ، عبدالله بن دجين و الباهلي ، أريج بنت سليمان (٢٠٢١). البرهـــان بين المناطقة والمتكلمين - دراسة عقدية. ***المجلة العربية للدراسات الاسلامية والشرعية***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر ، ٦ (١٨) ، ١- ١٦.




البرهــان بين المناطقة والمتكلمين ـ دراسة عقدية

**المستخلص:**

حدود البحث في البرهان عند المناطقة وأهل الكلام المتفلسفة، لأن أهل الكلام قبل هؤلاء لهم اتجاهات متشعبة مختلفة، واستقرت المذاهب الكلامية المشهورة على هذا المفهوم للبرهان، وبدائله في المنهج الإسلامي. وقد عرف البرهان ابن سينا (ت: ٤٢٨هـ) بأنه: "قياس مؤلف من يقينيات لإنتاج يقيني"، وقد تابعه الأشعرية المتفلسفة الذي خلطوا المنطق والفلسفة بعلم الكلام، وهم الغزالي ومن تابعه فهو عندهم محصور في القياس المنطقي ومقدماته فقط، وهو برهان لا يفيد إلا الكليات، ولا يدل على شيء معين بخصوصه وإنما يدل على أمر كلي، أما مقدمات القياس عند المناطقة ومن تابعهم فهي أسباب اليقين عدها بعضهم خمساً، وبعضهم ستاً، وبعضهم سبعاً، لكن اليقيني منها هو البديهيات فقط . أما البرهان في المنهج الإسلامي فهو: "البيان والحجة والبينة" ومصادره كثيرة وطرقه كثيرة وهذا من سعة الإسلام وشموله ويسره، فهي أوسع منه وأعم، لا كما يقوله المناطقة ومن وافقهم بل هي متنوعة، منها: الحس الباطن والظاهر والاعتبار بالنظر والقياس، الفطرة، والخبر ويتناول الكليات والمعينات والشاهد والغائب، فهو أعم وأشمل، ومن الخبر الوحي وهو من أعظم مصادر المعرفة. والأخذ بهذه الطرق أكمل من أتباع تلك الفلسفات التي حصرت طرق المعرفة في طريق واحد، والمناطقة ومن تابعهم أغلقوا على أنفسهم طرق العلم وتنوع المعرفة.

**Abstract:**

The limits of research in the proof according to the logicians and the philosophical scholars, because the scholars of theology before these had different ramifications, and the well-known theological schools of thought settled on this concept of proof, and its alternatives in the Islamic approach. Al-Burhan Ibn Sina (died: 428 AH) defined it as: “An analogy composed of certainties to produce a certainty.” It was followed by the Ash’arite philosophical who mixed logic and philosophy with the science of theology, and they are Al-Ghazali and those who follow him It is a proof that only benefits universals, and does not indicate a specific thing about it, but rather indicates a universal matter. As for the premises of analogy according to the logicians and those who follow them, they are the reasons for certainty. Some of them count them as five, and some of them are six, and some of them are seven, but the certainty of them are only axioms. As for the proof

in the Islamic approach, it is: "The statement, the argument, and the evidence." Its sources are many and its methods are many, and this is from the broadness, comprehensiveness and ease of Islam. It deals with universals, aids, the witness and the absent. It is more general and comprehensive. It is the news of revelation, which is one of the greatest sources of knowledge. The adoption of these methods is more complete than the followers of those philosophies that restricted the paths of knowledge to one path, and the logicians and those who followed them closed themselves the paths of knowledge and the diversity of knowledge.

**تمهيد :**

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله – صلى الله عليه وسلم -.

أما بعد:

فطر الله قلوب الخلق على حب الصدق، فيحبون الصادقين ومن ذلك محبة البراهين الصادقة، وقد اختلف الناس في البراهين الصادقة وكثر خلافهم حولها، وادعت كل طائفة أن أدلتها صادقة صحيحة توصل للمطلوب وسموها برهانية، تمييزًا لها عن الأدلة غير البرهانية .

وقد حددت كل طائفة سبيل الوصول إلى هذه البراهين، فاختلف الفلاسفة أنفسهم في طريق الوصول إلى الدليل البرهاني فذهب الفلاسفة المشائية أرسطو وأتباعه إلى أن طريق الوصل إلى البرهان الصحيح هو القياس المنطقي يقيني المقدمات، وذهب الفلاسفة الحسيون إلى أن طريق الوصول هو الحس، والتجريبيون حصروه في التجربة وهكذا كل طائفة تدعى البرهان الصادق وطريق الوصول إليه، هذا الخلاف في المذهب الواحد، أما الخلاف في البرهان الصادق بين الفرق فكثير جدًا، فزعم الفلاسفة أن براهين الفرق الكلامية على اختلافها غير برهانية بل هي جدلية، بينما زيف كل مذهب كلامي براهين ما سواه، فالمعتزلة زعموا أن براهين الفلاسفة والمذاهب الكلامية الأخرى من الكلابية والأشعرية وغيرهم غير صحيحة، وأن الصواب فقط هو براهينهم وأن طريق الوصول إليه هو العقل، وكذلك فعلت الكلابية والأشعرية زيفت براهين الفلاسفة والمعتزلة، بل الأشعرية نفسها اختلف تعاطيها مع البراهين في منهج الوصول للبرهان وفي البرهان ذاته، بل من خرج إلى هذه الطوائف كلها مثل ابن حزم زيف براهين المعتزلة والأشاعرة والفلاسفة وجاء بما يماثلها .

ويرى أهل السنة والجماعة أن من رحمة الله عز وجل بخلقه أنَّ العلم كلما كان الناس إليه أحوج كانت أدلته لهم أظهر، كدلالة إثبات الصانع وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم(١).

قال ابن القيم رحمه الله مبيناً حكمة الله عز وجل ولطفه فيما أعطى الإنسان علمه بما فيه صلاح معاشه ومعاده: "وكلما كانت حاجته إليه من العلم أعظم، كان تيسيره إياه عليه أتم، فأعطاه معرفة خالقه وبارئه ومبدعه سبحانه والإقرار به، ويسر عليه طرق هذه المعرفة، فليس في العلوم ما هو أجل منها ولا أظهر عند العقل والفطرة، وليس في طرق العلوم التي تنال بها أكثر من طرقها، ولا أدل ولا أبين ولا أوضح، فكلما تراه بعينك، أو تسمعه بأذنك، أو تعقله بقلبك، وكلما يخطر ببالك وكلما نالته حاسة من حواسك، فهو دليل على الرب تبارك وتعالى فطرق العلم بالصانع فطرية ضرورية ليس في العلوم أجلى منها، وكل ما استدل به على الصانع فالعلم بوجوده أظهر من دلالته ولهذا قالت الرسل لأممهم ﴿ تم ﴾ فخاطبوهم مخاطبة من لا ينبغي أن يخطر له شك ما في وجود الله سبحانه"(٢).

فطرق القرآن البرهانية واضحة يقينية لا شك فيها. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ أَفَأَمِنَ﴾ [البقرة: ٢]. أي هذا الكتاب العظيم الذي هو الكتاب على الحقيقة، المشتمل على ما لم تشتمل عليه كتب المتقدمين والمتأخرين من العلم العظيم، والحق المبين. فإنَّه ﴿ٱلَّذِينَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ أَفَأَمِنَ﴾ ولا شك بوجه من الوجوه، ونفي الريب عنه، يستلزم ضده، إذ ضد الريب والشك اليقين، فهذا الكتاب مشتمل على علم اليقين المزيل للشك والريب(٣).

وإذا تأمل الإنسان غاية ما يذكره المتكلمون والفلاسفة من الطرق العقلية، وجد الصواب منها ما يعود إلى بعض ما ذكر في القرآن من الطرق العقلية بأوضح عبارة وأوجزها، وفي طرق القرآن من تمام البيان والتحقيق ما لا يوجد عندهم مثله، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ وَمَآ

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: محمد بن أبي العز الحنفي، المحقق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ص٣٧.

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر ابن القيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، بدون رقم طبعة، (١/٢٨٠).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبدالرحمن السعدي، المحقق: عبدالرحمن اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ص٤٠.

أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ أَفَأَمِنَ [الفرقان: ٣٣][٤]. أي أحسن مما جاءوا به من المثل بياناً وتفصيلاً[٥].

فالبرهان في القرآن هو أوضح الدليل وأقوى الحجج. قال ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ): "والبرهان: الحجة، وقد يخصص بالحجة الواضحة الفاصلة، وهو غالب ما يقصد به في القرآن، ولهذا سمى حكماء الإسلام أجل أنواع الدليل، برهاناً"[٦].

**مشكلة البحث:**

تظهر مشكلة البحث في أنَّ مصطلح البرهان له انتشار واسع في كتب الاعتقاد عند المناطقة والمتكلمين، ويحتاج إلى بيان وجه الحق فيه على ضوء عقيدة أهل السنَّة والجماعة.

**حدود البحث :**

ينحصر البحث في البرهان عند المناطقة وأهل الكلام المتفلسفة الذين خلطوا علم الكلام بالفلسفة والمنطق، وهم الغزالي ومن تابعه، لأن أهل الكلام قبل هؤلاء لهم اتجاهات متشعبة مختلفة، واستقرت المذاهب الكلامية المشهورة على هذا المفهوم للبرهان.

**أهداف البحث:**

١ـــ بيان المراد بالبرهان عند المناطقة والمتكلمين.

٢ـــ إبراز الحق في البرهان على ضوء عقيدة أهل السنَّة والجماعة.

**منهج البحث:**

المنهج الاستقرائي الاستنتاجي.

**مصطلحات البحث:**

- **البرهان:** هو الحجة الفاصلة البينة، يقال: برهن يبرهن برهنة إذا جاء بحجة قاطعة للدد الخصم، فهو مبرهن. وجمع البرهان براهين. وقد برهن عليه: أقام الحجة[٧]. فالبرهان: هو بيان الحجة وإيضاحها[٨]. أو الحجة الفاصلة البيّنة[٩]. وأصل البرهان

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، مرجع سابق، ص٦٦.

(٥) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير الطبري، المحقق: عبدالله التركي، الناشر: دار هجر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، (٤٤٧/١٧).

(٦) التحرير والتنوير، المؤلف: محمد الطاهر بن عاشور، الناشر: الدار التونسية – تونس، بدون رقم طبعة، ١٩٨٤م، (٦٢/٦).

(٧) انظر: لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، مادة (برهن)، (٥١/١٣).

(٨) انظر: العين، المؤلف: الخليل بن أحمد الفراهيدي، المحقق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، الناشر: مكتبة الهلال، مادة "بره"، (٤٩/٤)، وتهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد الأزهري، المحقق: محمد عوض، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، مادة "بره"، (١٥٧/٦).

(٩) انظر: لسان العرب، ابن منظور، مرجع سابق، مادة "برهن"، (٥١/١٣).

الدلالة والوضوح يقال: هذا برهان هذا الأمر أي وضوحه[١٠].

- **القياس:** قال ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ): القاف والواو والسين أصل واحد يدل على تقدير شيء بشيء، ثم يصرف فتقلب واوه ياء، والمعنى في جميعه واحد. ومنه القياس، وهو تقدير الشيء بالشيء، والمقدار مقياس[١١]. فالقياس في اللغة ورد بمعنيين هما: التقدير والمساواة[١٢].

**ويتكون البحث من أربعة مطالب على النحو التالي :**

المطلب الأول: مفهوم البرهان عند المناطقة والمتكلمين .

المطلب الثاني : مقدمات البرهان المنطقي .

المطلب الثالث : مفهوم البرهان في المنهج الإسلامي .

المطلب الرابع : مصادر البراهين في المنهج الإسلامي .

نتمنى أن يكون البحث عالج مشكلة فلسفية عن الفلاسفة ومشكلة منهجية عند الفرق الإسلامية، وأن تكون فيه إضافة علمية نافعة، والله الموفق، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

**المطلب الأول: مفهوم البرهان عند المناطقة والمتكلمين:**

ورد مصطلح البرهان عند المناطقة والمتكلمين بعدة تعريفات، ومنها ما يلي:

١. عرَّفه ابن سينا (ت: ٤٢٨هـ) بأنه: "قياس مؤلف من يقينيات لإنتاج يقيني، واليقينيات إما الأوليات وما جمع معها، وإما التجريبيات، وإما المتواترات، وإما المحسوسات، وأما الذائعات والمقبولات والمظنونات فخارجة عن هذه الجملة"[١٣].

وقد تابع ابن سينا طائفة من الأشعرية وهم الأشعرية المتفلسفة الذي خلطوا المنطق والفلسفة بعبم الكلام ولذلك هم يتابعون ابن سينا في تعريف البرهان ومنهم :

٢. وعرَّفه الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) فقال: "البرهان عبارة عن أقاويل مخصوصة ألفت تأليفاً مخصوصاً بشرط مخصوص يلزم منه رأي هو مطلوب الناظر بالنظر، وهذه الأقاويل إذا وضعت في البرهان لاقتباس المطلوب منها سميت مقدمات"[١٤].

---

(١٠) انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المؤلف: عياض بن موسى اليحصبي، الناشر: المكتبة العتيقة، ودار التراث، بدون رقم طبعة ولا تاريخ، مادة " ب ر ه "، ص٨٥.

(١١) انظر: مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس الرازي، المحقق: عبدالسلام هارون، الناشر: دار الفكر، بدون رقم طبعة، ١٣٩٩هـ، مادة: (قوس)، (٥/٤٠).

(١٢) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: إسماعيل بن حماد الجوهري، المحقق: أحمد عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ، (قيس)، (٩٦٨/٣)، ولسان العرب، ابن منظور، مرجع سابق، مادة: (قيس)، (٦/ ١٨٧).

(١٣) النجاة في الحكمة الإلهية، ابن سينا، ص٦٦.

(١٤) المستصفى، المؤلف: محمد بن محمد الغزالي، المحقق: محمد عبدالشافي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ ، ص٢٤،٨٠.

٣. وعرَّفه الآمدي (ت: ٦٣١هـ) فقال هو: "قياس يقيني المادة. فإن كان الحد الأوسط منه هو العلة الموجبة للنسبة بين طرفي المطلوب سُمي برهاناً لِمِيّاً، كما لو كان الاحتراق هو الحد الأوسط في قولنا: هذه الخشبة اشتعلت فيها النار. وإن لم يكن هو العلة الموجبة لنفس النسبة، بل الموجبة للتصديق بوقوع النسبة سُمي برهاناً إنّياً، وذلك كما لو كان الحد الأوسط هو الاشتعال في قولنا: هذه الخشبة محترقة[١٥].

٤. وعرفه الجرجاني (ت: ٨١٦هـ): بأنه "القياس المؤلف من اليقينيات، سواء كانت ابتداءً؛ وهي الضروريات، أو بواسطة؛ وهي النظريات. والحد الأوسط فيه لا بد أن يكون علَّةً لنسبة الأكبر إلى الأصغر؛ فإن كان مع ذلك علةً لوجود تلك النسبة في الخارج أيضًا، فهو برهان لِمّي، كقولنا: هذا متعفن الأخلاط، وكل متعفّن الأخلاط محموم، فهذا محموم، فتعفن الأخلاط، كما أنه علة لثبوت الحمى في الذهن، كذلك علة لثبوت الحمى في الخارج، وإن لم يكن كذلك كان لا يكون علة للنسبة إلا في الذهن، فهو برهان إنّي، كقولنا: هذا محموم، متعفن الأخلاط، فهذا متعفن الأخلاط، فالحمى، وإن كانت علةً لثبوت تعفن الأخلاط في الذهن، إلا أنها ليست علة له في الخارج، بل الأمر بالعكس. وقد يقال على الاستدلال من العلة إلى المعلول: برهان لميّ، ومن المعلول إلى العلة: برهان إنيّ"[١٦].

فالبرهان عند المناطقة كما ورد في تعريف ابن سينا وغيره محصور في القياس المنطقي ومقدماته فقط، وهو برهان لا يفيد إلا الكليات. فهو لا يدل على شيء معين بخصوصه وإنما يدل على أمر كلي، والكلي لا يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه كما ذكر ذلك ابن تيمية رحمه الله[١٧].

قال ابن تيمية رحمه الله (ت: ٧٢٨هـ) موضحاً ذلك الأمر: "وإن كان البرهان في كلام الله ورسوله وكلام سائر أصناف العلماء لا يختص بما يسمونه هم البرهان، وإنما خصوا هم لفظ البرهان بما اشتمل على القياس الذي خصوا صورته ومادته بما ذكروه"[١٨]. ويقول رحمه الله: "ما من قضية من هذه القضايا الكلية التي تجعل مقدمة في البرهان إلا والعلم بالنتيجة ممكن بدون توسط ذلك البرهان بل هو الواقع كثيراً.

---

(١٥) المُبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين، الآمدي، مرجع سابق، ص٩٠، وانظر: التعريفات، الجرجاني، مرجع سابق، ص٤٤، و قواعد الفقه، المؤلف: محمد عميم المجددي، الناشر: الصدف – كراتشي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، ص٢٠٧، و معجم مصطلح الأصول، هثيم هلال، مرجع سابق، ص٥٦.

(١٦) التعريفات، المؤلف: علي بن محمد الجرجاني، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، ص٤٤.

(١٧) الرد على المنطقيين، المؤلف: أحمد بن عبدالحليم بن تيميه، الناشر: دار المعرفة – بيروت، بدون رقم طبعة ولا تاريخ، ص١٣٨.

(١٨) الرد على المنطقيين، ابن تيمية، مرجع سابق، ص١٠٩.

فإذا علم أن كل واحد فهو نصف كل اثنين، وأن كل اثنين نصفهما واحد، فإنه يعلم أن هذا الواحد نصف هذين الاثنين، وهلم جرا في سائر القضايا المعينة من غير استدلال على ذلك بالقضية الكلية.
وكذلك كل (كل وجزء) يمكن العلم بأن هذا الكل أعظم من جزئه بدون توسط القضية الكلية"[١٩].

**المطلب الثاني : مقدمات البرهان المنطقي :**

يطلق المناطقة ومن تابعهم من أهل الكلام المتفلسف على مقدمات القياس" المقدمات اليقينية التي هي مادة البرهان عندهم هي من أسباب اليقين. فعدها بعضهم خمساً، وبعضهم ستاً، وبعضهم سبعاً"[٢٠]. فالمناطقة أطلقوا الحكم اليقيني على الحجة البرهانية، والحكم بغير اليقين لما سواها[٢١].

قال الغزالي (ت: ٥٠٥هـ) بعد حصره للاعتقاد الجازم لديهم: "فهذا القدر كاف في المقدمات التي منها ينتظم البرهان. فالمستفاد من المدارك لخمسة بعد الاحتراز عن مواقع الغلط فيها يصلح لصناعة البرهان، والمستفاد من غلط الوهم لا يصلح ألبته. والمشهورات تصلح للفقهيات الظنية والأقيسة الجدلية، ولا تصلح لإفادة اليقين ألبته"[٢٢].

فالمناطقة أغلقوا على أنفسهم سبل المعرفة المتنوعة. وهذا بلا شك على خلاف البرهان الصحيح وهو:
"ما كانت مواده يقينية، وهي التي يجب قبولها بديهياً كانت أو نظرية تنتهي إلى البديهيات، وسواء كانت تلك المقدمات عقلية أو سمعية، فإنَّ السمع يفيد اليقين كأن يكون خبر من يمتنع عليه الكذب كخبر اللَّه تعالى، وخبر رسوله - صلى الله عليه وسلم -، وكذلك الإجماع"[٢٣].

قال ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "المعرفة المكتسبة من الوحي معرفة يقينية مطلقة، ذلك أن الوحي بصفته جزءاً من علم الله له، ما لهذه الصفة من كونها حقيقة

---

([١٩]) المرجع السابق، ص١٠٨.
([٢٠]) طرق الاستدلال ومقدماتها، المؤلف: يعقوب بن عبدالوهاب الباحسين، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤٣٥هـ، ص٤٠، وانظر: تحرير القواعد المنطقية شرح الرسالة الشمسية، المؤلف: قطب الدين محمد بن محمد الرازي، الناشر: منشورات بيدار، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ، ص٤٥٧، والمواقف، المؤلف: عبدالرحمن بن أحمد الإيجي، المحقق: عبدالرحمن عميره، الناشر: دار الجيل – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، (٨٠/١)، وموسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، المؤلف: محمد بن علي التهاوني، المحقق: علي دحروج، الناشر: مكتبة لبنان، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦، (٦٧٥/١)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الكفوي، المحقق: عدنان درويش، ومحمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، بدون رقم طبعة ولا تاريخ، ص٩٨٠.
([٢١]) تحرير القواعد المنطقية شرح الرسالة الشمسية، قطب الدين الرازي، مرجع سابق، ص٤٥٧.
([٢٢]) المستصفى، الغزلي، مرجع سابق، ص٣٩.
([٢٣]) المهذب في علم أصول الفقه المقارن، المؤلف: عبدالكريم بن علي النملة، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ، (١٠٣/١).

مطلقة غير محدودة، ودلالة الوحي في إفادة المعرفة الدينية دلالة شرعية سمعية عقلية"(٢٤).

**المطلب الثالث : مفهوم البرهان في المنهج الإسلامي :**

فالبرهان في القرآن هو: "البيان والحجة والبينة"(٢٥). قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ أَفَأَمِنَ﴾ [النساء: ١٧٤]. أي أنَّ الله تعالى مخاطباً جميع الناس ومخبراً بأنه قد جاءهم منه برهان عظيم، وهو الدليل القاطع للعذر، والحجة المزيلة للشبهة؛ ولهذا قال: ﴿ٱلَّذِينَ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ أَفَأَمِنَ﴾ أي: ضياء واضحاً على الحق، وهو القرآن(٢٦).

قال ابن عباس رضي الله عنه: يريد بالبرهان النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به من البيان. وإنما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم برهان، لما معه من المعجزة التي تشهد بصدقه. والقرآن سماه نوراً لأنه يتبين به الأحكام كما تتبين الأشياء بالنور(٢٧).

وخاطب سبحانه بذلك الكافة، وبين أنه أزاح عللهم بالعقل والشرع(٢٨).

فالبرهان الصحيح هو الذي يُنال به العلم، وهو برهان عام أعم من القياس، وغير محصور في القياس ومقدماته كما يقول بذلك المناطقة. قال ابن تيمية رحمه الله: "البرهان أعم من ذلك، وأنَّه يطلق على ما يفيد العلم اليقيني، وإن لم يكن قياساً"(٢٩).

**المطلب الرابع : مصادر البراهين في المنهج الإسلامي :**

مصادر المعرفة لا تقتصر على القياس المنطقي كما يقوله المناطقة ومن وافقهم بل هي متنوعة، وأوسع منه وأعم، يقول ابن تيمية رحمه الله: "فطرق المعارف متنوعة في نفسها"(٣٠)، ويقول مبيناً تلك الطرق:

---

(٢٤) مجموع الفتاوى، المؤلف: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، المحقق: عبدالرحمن بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة، ١٤١٦هـ، بدون رقم طبعة، (١٣٦/١٣).

(٢٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير الطبري، المحقق: عبدالله التركي، الناشر: دار هجر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، (٤٢٩/٢).

(٢٦) انظر: تفسير القرآن العظيم، المؤلف: إسماعيل بن عمر بن كثير، المحقق: سامي سلامة، الناشر: دار طيبة – الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ، (٤٨١/٢).

(٢٧) انظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: علي بن أحمد الواحدي، المحقق: عادل أحمد، وعلي محمد، وآخرون، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، (١٤٤/٢).

(٢٨) انظر: تفسير الراغب الأصفهاني، المؤلف: الراغب الأصفهاني، المحقق: هند بنت محمد، الناشر: كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، (٤/ ٢٤٣).

(٢٩) درء تعارض العقل والنقل، المؤلف: أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، المحقق: محمد رشاد، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ، (٢٩/١).

(٣٠) المرجع سابق، (٤٦/٨).

"أحدها: الحس الباطن والظاهر، وهو الذي تعلم به الأمور الموجودة بأعيانها.

والثاني: الاعتبار بالنظر والقياس، وإنما يحصل العلم به بعد العلم بالحس، فما أفاده الحس معيناً يفيده العقل والقياس كلياً مطلقاً، فهو لا يفيد بنفسه علم شيء معين، لكن يجعل الخاص عاماً، والمعين مطلقاً، فإنَّ الكليات إنما تعلم بالعقل، كما أن المعينات إنما تعلم بالإحساس.

والثالث: الخبر، والخبر يتناول الكليات والمعينات والشاهد والغائب، فهو أعم وأشمل، لكن الحس والعيان أتم أكمل"[٣١]. ويدخل في ذلك الخبر الوحي وهو من أعظم مصادر المعرفة.

ويقول أيضاً في اعتبار القياس: "بكل حال فلا يقوم بنفسه قضية كلية عقلية ضرورية أو غير ضرورية إلا بتوسط قياس واعتبار"[٣٢]. ويقول أيضاً: "العلم له طرق ومدارك وقوى باطنة وظاهرة في الإنسان، فإنه يحس الأشياء ويشهدها، ثم يتخيلها ويتوهمها ويضبطها بعقله، ويقيس ما غاب على ما شهد"[٣٣].

ومن طرق المعرفة في الإسلام: الفطرة: مثل الفطرة المتعلقة بمعرفة الله وتوحيده. وفطرة التحسين والتقبيح، وفطرة المبادئ الأولية وهي المقدمات الضرورية للاستدلال العقلي[٣٤]. ومصادر المعرفة الخاصة بالإنسان مثل الرؤى والوجدانيات[٣٥]. وهذا من سماحة الإسلام ويسره في أنه لم يحصر طرق العلم والمعرفة في طريقٍ واحد، بل كل طريق له مجاله الذي لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية، سواءً كان حسي، أو عقلي، أو تجريبي.

وأنَّ الأخذ بهذه الطرق أكمل من أتباع تلك الفلسفات التي حصرت طرق المعرفة في طريق واحد.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "ولهذا كان أكمل الأمم علماً المقرون بالطرق الحسية والعقلية والخبرية، فمن كذب بطريق منها فاته من العلوم بحسب ما كذب به من تلك الطرق"[٣٦].

كما أنَّ النفس البشرية بطبيعتها لا يمكن أن تنحصر طرق معرفتها بالأشياء في طريق واحد، بل ما يحصل في النفس من العلوم لا يمكن أن تضبط طرقه، بل إنه يمكن أن

---

([٣١]) المرجع سابق، (٣٢٤/٧).

([٣٢]) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، المؤلف: أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ه، (٦٢١/٤).

([٣٣]) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، ابن تيمية، مرجع سابق، (٤٣٤/١).

([٣٤]) انظر: المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها، المؤلف: عبدالله القرني، الناشر: مركز التأصيل، الطبعة الثالثة، ١٤٣٤هـ، ص٢٦٣،٢٩٧،٢٠٦.

([٣٥]) انظر: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، الزنيدي، مرجع سابق، ص٢٦٠.

([٣٦]) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، مرجع سابق، (١٧٩/١).

يحصل العلم في النفس من غير شعور منها بحصوله فيها. كما أنَّ الشيء الواحد يمكن أن يُعرف من عدة طرق، وتكون كل هذه الطرق صحيحه تبينه كما هو. ودعوى المناطقة في تقييدهم لطرق حصول العلم في النفس، وتقييد لطرق العلم بالشيء المجهول، وكلاهما مخالف للواقع[٣٧]. يقول ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله في ذلك: "أما كون جميع بني آدم لا يحصل لهم العلم بمطالبهم إلا بهذه الطرق المعينة، فهذا كلام باطل"[٣٨].

وأصل الإشكال هو أنه يحصل العلم عند شخص ما بطريق معين فيظن أنه لا طريق للعلم إلا طريقه فقط، وهذا غلط دخل على المناطقة لما حصروا طرق الوصول إلى التصورات في الحدود وطرق الوصول إلى التصديقات في الأقيسة، وكذلك دخل على المتكلمين لما حصروا طرق العلم بالله تعالى في النظر، وحصروا طريق للعلم بصدق النبي إلا بالمعجزة، وفي بيان هذا الغلط وشرح تفاصيله[٣٩]. يقول ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) رحمه الله: "وقد سلك طائفة من أهل الكلام من المعتزلة ومن وافقهم ترتيباً معيناً في العلم الواجب على كل مكلف، وزعموا أنه لا يمكن حصول المعرفة لأحد إلا على ذلك الترتيب الخاص...

ونظير هذه التراتيب التي أحدثها أهل الكلام وادعوا أنه لا يحصل العلم إلا بها، تراتيب ذكرها طوائف من الصوفية المصنفين في أحوال القلوب وأعمالها، لما تكلموا في المقامات والمنازل وترتيبها. فهذا يذكر عددا من المنازل والمقامات وترتيباً، وهذا يذكر عدداً آخر وترتيباً، ويقول هذا: إن العبد لا ينتقل إلى مقام كذا حتى يحصل له كذا، وإنه ينتقل كذا إلى كذا، ويقول هذا: عدد المنازل مئة، ويقول الآخر: عددها أكثر وأقل، ثم هذا يقسم المنازل أقساماً يجعلها الأخر كلها قسماً، ويذكر هذا أسماءً وأحوالاً لا يذكرها الآخر.

وغاية الواحد من هؤلاء أن يكون ما ذكره وصف حاله وحال أمثاله، وسلوكهم وترتيب منازلهم، فإن كان ما قالوه فغايته أن يكون وصف سلوك طائفة معينة، أما كون جميع أولياء الله تعالى لا يسلكون إلا على هذا الوجه المرتب وهذه الانتقالات، فهذا باطل.

وكذلك أيضاً نظير ما يذكره من يذكره من المتفلسفة وأهل المنطق في ترتيب العلم وأسباب حصوله، وما يذكرونه من الحدود والأقيسة والانتقالات الذهنية، فغاية كلامهم إذا كان صحيحاً أن يكون ذلك وصفاً لما تسلكه طائفة معينة، أما كون جميع بني آدم لا يحصل لهم العلم بمطالبهم إلا بهذه الطرق المعينة فهذا كلام باطل.

---

(٣٧) انظر: الحد الأرسطي، المؤلف: سلطان العميري، الناشر: جامعة أم القرى، كلية أصول الدين، ص٦٧.

(٣٨) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، مرجع سابق، (٢٠/٨).

(٣٩) الحد الأرسطي، سلطان العميري، مرجع سابق، ص٦٨.

فحصر هؤلاء لمطلق العلم في ترتيب معين، وحصر هؤلاء العلم بالله وبصدق رسله في ترتيب معين، وحصر هؤلاء للوصول إلى الله في ترتيب معين، كل هذا مع كونه في نفسه مشتملاً على حق وباطل، فالحق منه لا يوجب الحصر، ولكن هو وصف قوم معينين، وطرق العلم والأحوال وأسباب ذلك وترتيبه أوسع من أن تحصر في بعض هذه الطرائق"[٤٠]. ومثال ذلك: إقامة البراهين عند فخر الدين الرازي (ت:٦٠٦هـ) على أنه تعالى ليس مختصاً بحيز وجهه. بمعنى أنه يصح أن يشار إليه بالحس بأنه ههنا أو هناك. ثم ساق تحته ثمانية براهين ومقدمات وفق ترتيب معين ليبرهن بها على نفي العلو عن الله عز وجل[٤١]. بالرغم من أنَّ صفة العلو لله عز وجل من أظهر الصفات اللائقة به سبحانه، وجاءت النصوص فيها متواترة من الكتاب والسنَّة، فهي صفة ظاهرة عند العقول الصحيحة والفطر السليمة. وذلك أنَّ العقل بفطرته وبداهته يُدرك القضايا الأولية الضرورية كعلو الله تعالى على خلقه دون تكلف أو واسطة.

ومن ذلك: قول الدارمي (ت: ٢٨٠هـ) رحمه الله في إثباته لعلوّ الله عز وجل حيث قال: "ثم إجماع من الأولين والآخرين، العالمين منهم والجاهلين، أن كل واحد ممن مضى وممن غبر إذا استغاث بالله تعالى، أو دعاه، أو سأله، يمد يديه وبصره إلى السماء يدعوه منها، ولم يكونوا يدعوه من أسفل منهم من تحت الأرض، ولا من أمامهم، ولا من خلفهم، ولا عن أيمانهم، ولا عن شمائلهم، إلا من فوق السماء، لمعرفتهم بالله أنه فوقهم"[٤٢]. وأكَّد ابن قدامه (ت: ٦٢٠هـ) رحمه الله بديهية إثبات صفة العلو لله تعالى، وأنَّ ذلك الأمر مغروزاً في طبع الخلق أجمعين فقال: "فإنَّ الله تعالى وصف نفسه بالعلو في السماء، ووصفه بذلك محمد خاتم الأنبياء، وأجمع على ذلك جميع العلماء من الصحابة الأتقياء والأئمة من الفقهاء، وتواترت الأخبار بذلك على وجه حصل به اليقين، وجمع الله تعالى عليه قلوب المسلمين، وجعله مغروزاً في طباع الخلق أجمعين، فتراهم عند نزول الكرب بهم يلحظون السماء بأعينهم، ويرفعون نحوها للدعاء أيديهم ،وينتظرون مجيء الفرج من ربهم، وينطقون بذلك بألسنتهم لا ينكر ذلك إلا مبتدع غال في بدعته، أم مفتون بتقليد واتباعه على ضلالته"[٤٣]. ورفع اليد والرأس جهة السماء دلالة على بديهية الأمر لدى كل من سلمت فطرته وصح عقله بأنَّ الله متصف في جهة العلو ومتصف به سبحانه.

---

([٤٠]) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، مرجع سابق، (٨/١٧-٢١).

([٤١]) انظر: أساس التقديس في علم الكلام، المؤلف: محمد بن عمر الرازي، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ص٤٣.

([٤٢]) الرد على الجهمية، المؤلف: عثمان بن سعيد الدارمي، المحقق: بدر البدر، الناشر: دار ابن الأثير – الكويت، الطبعة الثانية، ١٤١٦ه، ص٤٠.

([٤٣]) إثبات صفة العلو، المؤلف: عبدالله بن قدامة المقدسي، المحقق: أحمد الغامدي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، ص٦٣.

كما أنَّ "الذي يطلب على البرهان برهاناً فهو ناطق بالمحال، لأنه لا يفعل ذلك إلا وهو مثبت لبرهان ما، فإذا وقفنا عند البرهان الذي ثبت لزمه الإذعان له فإن كان لا يثبت برهاناً فلا وجه لطلبه ما لا يثبته لو وجده والقول بنفي الحقائق مكابرة للعقل والحس"[٤٤].

والمقصود هنا أن المناطقة قد خالفوا الواقع، وليس المقصود من هذا إثبات لزوم تعدد طرق العلم بالشيء الواحد، فيكون كل شيء لا بد أن يعلم بأكثر من طريقين، فإنَّ هذا غير لازم، كما أن حصر العلم بالشيء المعين في طريق واحد غير لازم[٤٥]. إضافة إلى أنَّ استدلالهم وبرهنتهم بمقدمات متكلفة تكون على أمرٍ بديهي لا حاجة للاستدلال عليه، فهو مما يُدركه العقل ببديهته دون الحاجة فيه للمقدمات الطويلة والبراهين المتكلفة. مثل: مسألة إثبات علو الله تعالى على خلقه.

حيث إنَّ البديهيات هي مقدمات الاستدلال، والمقدمات تحصل من المستدلّ قبل الاستدلال.

قال ابن تيمية رحمه الله: "البرهان الذي ينال بالنظر فيه العلم لا بد أن ينتهي إلى مقدمات ضرورية فطرية فإنَّ كل علم ليس بضروري لا بد أن ينتهي إلى علم ضروري، إذ المقدمات النظرية لو أثبت بمقدمات نظرية دائماً لزم الدور القبلي، أو التسلسل في المؤثرات في محل له ابتداء. وكلاهما باطل بالضرورة واتفاق العقلاء من وجوه. فإنَّ العلم النظري الكسبي هو ما يحصل بالنظر في مقدمات معلومة بدون النظر إذ لو كانت تلك المقدمات أيضا نظرية لتوقف على غيرها، فيلزم تسلسل العلوم النظرية في الإنسان، والإنسان حادث كائن بعد أن لم يكن، والعلم الحاصل في قلبه حادث، فلو لم يحصل في قلبه علم إلا بعد علم قبله، للزم أن لا يحصل في قلبه علم ابتداء فلا بد من علوم بديهية أوليه يبتدئها الله في قلبه وغاية البرهان أن ينتهي إليها"[٤٦]. ويتضح من ذلك أنَّ الاستدلال للعلوم النظرية، وأما الضرورية فهي بديهية ولا يستدل عليها إلا لمن خُفيت عليه، وليس لتعذر بديهيتها أو ووضوحها لأن الأمر فيها نسبي، وراجع للذات المدركة كما بين ذلك ابن تيمية رحمه الله.

قال المعلمي (ت: ١٣٨٦ه) رحمه الله: "القضايا الضرورية والبديهية فقد اتفق علماء المعقول أنها رأس مال العقل، وأن النظر إنما يرجى منه حصول المقصود ببنائه عليها، استناده إليها"[٤٧]. ومن ذلك فإنَّ "ما كان مدركا بأول العقل وبالحواس فليس عليه

---

([٤٤]) الفصل في الملل والأهواء والنحل، المؤلف: علي بن أحمد بن حزم، الناشر: مكتبة الخانجي، بدون رقم طبعة ولا تاريخ، (١٤/١).

([٤٥]) الحد الأرسطي، العميري، مرجع سابق، ص٧٠.

([٤٦]) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، مرجع سابق، (٣٠٩/٣).

([٤٧]) القائد إلى تصحيح العقائد، المؤلف: عبدالرحمن المعلمي، المحقق: محمد الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ، ص٣٨.

استدلال أصلاً بل من قبل هذه الجهات يبتدي كل أحد باستدلال وبالرد إلى ذلك فيصح استدلاله أو يبطل"[٤٨].

قال ابن أبي العز الحنفي (ت: ٧٩٢هـ): "وما كان من المقدمات معلومة ضرورية متفقاً عليها، استدل بها، ولم يحتج إلى الاستدلال عليها. والطريقة الفصيحة في البيان أن تحذف، وهي طريقة القرآن، بخلاف ما يدعيه الجهال، الذين يظنون أن القرآن ليس فيه طريقة برهانية"[٤٩].

**الخاتمـــة :**

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل المرسلين، أما بعد:

١. غالب أرباب الفرق والمذاهب يدعون لأنفسهم البرهان الصحيح الصادق وكل منهم يزيف براهين المخالفين له .
٢. زعم الفلاسفة المشائية أن برهانهم هو الصحيح، وأن القياس المنطقي هو الطريق الوحيد للبرهان لأن مقدماته يقينية وما عداه غير يقيني .
٣. أهل الكلام الذين خلطوا الفلسفة بعلم الكلام تابعوا ابن سينا مثل الغزالي ومن تابعه في البرهان والقياس المنطقي .
٤. البرهان في القرآن هو: "البيان والحجة والبينة" ومصادره كثيرة وطرقه كثيرة وهذا من سعة الإسلام وشموله ويسره .
٥. المناطقة والمتكلمون حصروا البرهان في القياس ومقدماته فأغلقوا على أنفسهم طرق العلم وتنوع المعرفة، وابتعدوا بذلك عن سماحة الإسلام ويسره.

**وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم**

---

(٤٨) الفصل في الملل والأهواء والنحل، المؤلف: علي بن أحمد ابن حزم، الناشر: مكتبة الخانجي- القاهرة، بدون رقم طبعة ولا تاريخ، (٦٨/٥).

(٤٩) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ص٣٧.

**المصادر والمراجع :**


١. التحرير والتنوير، المؤلف: محمد الطاهر بن عاشور، الناشر: الدار التونسية – تونس، بدون رقم طبعة، ١٩٨٤م.

٢. تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد الأزهري، المحقق: محمد عوض، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبدالرحمن السعدي، المحقق: عبدالرحمن اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير الطبري، المحقق: عبدالله التركي، الناشر: دار هجر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٥. شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: محمد بن أبي العز الحنفي، المحقق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٦. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: إسماعيل بن حماد الجوهري، المحقق: أحمد عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.

٧. العين، المؤلف: الخليل بن أحمد الفراهيدي، المحقق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، الناشر: مكتبة الهلال.

٨. لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.

٩. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المؤلف: عياض بن موسى اليحصبي، الناشر: المكتبة العتيقة، ودار التراث، بدون رقم طبعة ولا تاريخ.

١٠. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر ابن القيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، بدون رقم طبعة.

١١. مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس الرازي، المحقق: عبدالسلام هارون، الناشر: دار الفكر، بدون رقم طبعة، ١٣٩٩هـ.